القصص

يوم عصيب فى جبل المقطم

للأستاذ محمد الدمرداش محمد
مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

كان ذلك يوم جمعة فى شهر فبراير سنة ١٩١٩ ، ولم أكن وقتها حديث عهد بجبل المقطم ، أو قليل خبرة بوديانه وطرقاته ، ولكنها حالة طارئة من النوع الذى يبتلى به رواد الصحراء . فنوى بهم أو تجعلهم يتخبطون فيها على غير هدى ، إلى أن تتشلهم العناية الآلهية — كانت تجربة قاسية ولكن الله سلم . ولا يظن القارىء أن هذه التجاريب وأمثالها تصد رواد الجبال والصحراوات عن رحلاتهم ، بل هى مما يزيد فى خبرتهم وحماستهم ويجعلهم (معيدين) يقدمون غير هيابين أو وجلين.

خرجت من منزلى فى هذا اليوم فى الصباح الباكر ، وبصحبتى أحد الأصدقاء نقصد زيارة الغابة المتحجرة الكبرى بجبل المقطم على أربع ساعات من القلعة بالسير الحثيث جهة الجنوب الشرقى — وكان اليوم صحواً ، والطقس معتدلا ، والهواء ساكناً ، وكنا على عزم أن نعود بعد الظهر بقليل ، فلم نأخذ معنا ماء ولا طعاما سوى شطيرتين (سندوتش) لكل منا . وكانت ملابسى خفيفة وليس معى من مرافق الرحلات الجبلية سوى عصا قصيرة .

وصلنا المنشية فى منتصف الساعة السابعة ، ثم درنا حول القلعة من جهة (عرب اليسار) وبعد أن اجتزنا تكية سيدى المغاورى أخذنا نرتقى الجبل ؛ وبعد نصف ساعة وصلنا هضبة المقطم السفلى . وبعد أن مررنا بقلعة الجبل ومقام سيدى الجيوشى أخذنا طريقنا الى هضبة المقطم العليا ، ثم أخذنا نسير فى نفس الطريق الذى يسلكه عادة الذين يقصدون (عيون موسى) وبعد ساعة مررنا بعيون موسى ، ثم انحدرنا الى وادى البلاية وهو واد متسع قليل الارتفاعات ، فأخذنا طريقنا فيه متجهين نحو الجنوب وبعد ساعتين من عيون موسى وصلنا الغابة المتحجرة الكبرى بعد أن قطعنا نحو ١٨ كيلو متراً .

كانت الساعة وقتئذ العاشرة والنصف . وكنا على أحسن ما يكون نشاطا وسروراً . وكانت الشمس ساطعة والهواء دافئاً معتدلا

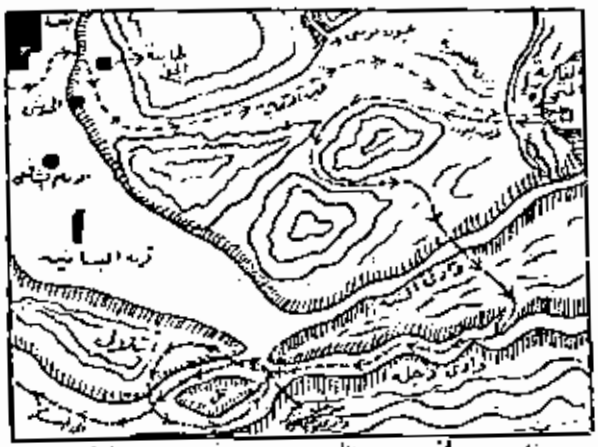

جبل المقطم . الغابة المتحجرة . وادى البلاية . وادى رجلة . طريق الذهاب . طريق العودة

وبعد أن استرحنا قليلا تناولنا ما كان معنا من الطعام . ثم انطلقنا نجوس خلال الغابة باحثين مستطلعين . فهذا جزع شجرة ملقى على الأرض تخاله من بعد انه جزع شجرة حقيقى . فاذا تبينته عن قرب وجدته قطعة من الصخر الرملى . فالرمل قد حل مكان الخلايا النباتية بألوانها وأشكالها وتعرجاتها ، واذا طرقته بقطعة من الصخر أعطى صوتاً له رنين المعدن — وهذا فرع شجرة حل به ما حل بالجزع — وقد مضينا فى الفرجة نحو الساعتين ، وكان كل شىء حتى الآن على ما يرام . ولكن لم نكد نتهيأ للرجوع حوالى منتصف الساعة الواحدة . حتى شعرنا بأن ريحاً شمالية غربية باردة بدأت تهب فى وجوهنا ، ثم تلبد الأفق من جهة الغرب بسحب كثيفة ، وزادت سرعة الريح . وبعد قليل انتشر فى الجو ضباب كثيف وحوالى الساعة الواحدة سقط رذاذ خفيف وبدأت الشمس تحتجب وراء السحب .

فلما تغير الحال كما رأيت عولنا على العودة مسرعين . فاتجهنا نحو الشمال الغربى قاصدين السير فى نفس الطريق الذى سلكناه فى الصباح ونظراً لتلبد الجو بالضباب واختفاء الشمس . اعتمدنا فى تعرف الجهات على هبوب الريح ، فجعلنا نسير فى الاتجاه المضاد لهبوبه — وبعد أن سرنا نحو ساعة بالسير الحثيث لحظت أن معالم الطريق بدأت تتغير . فلم اهتم لذلك ظناً منى أنه

ربما انحرفنا قليلا جهة الشرق أو الغرب ، ولكن بعد ساعة أخرى أدركت أني أسير في طريق لم آلفه من قبل فساورني بعض القلق وأخذ صاحبي يسألني عن موضعنا بالنسبة للقلعة ومتى نصل وهكذا من الأسئلة المتنوعة — كنا قد وصلنا في هذا الوقت الى واد صخري عميق ظننته لأول وهلة وادي عيون موسى . ولكن بعد أن بلغناه وسرنا فيه قليلا تأكدت أنه غيره — وهنا امطرتنا السماء مدراراً فبللت ملابسنا وتوحل الطريق فأعاقنا عن السير ، ثم برد الجو ، فلم نر بدا من الالتجاء الى مغارة قريبة لنستريح فيها قليلا ، فلما خف المطر استأنفنا السير في نفس الاتجاه — وبعد ساعة أخرى أدركت تماما أني أسير على غير هدى وأيقنت بعد ان تنكر الطريق اني قد ضللت ، فتملكني ضيق شديد وساورتني المخاوف وأخذت أندب سوء المصير في هذه المفاوز حيث لا ماء ولا طعام ولا غطاء ، ولكني وجدت من الحكمة ان أخفي حالي عن صاحبي ، فكتمت كربي وتكلفت الاطمئنان تكلفا وكنت كلما سألني عن القلعة وعن سبب تأخرنا أجبته إنا لابد واصلان ان شاء الله . ولكن بالرغم من محاولتي اخفاء اضطرابي وتصنعي الهدوء لحظ صاحبي في وجهي شدة الحيرة والقلق ، فأخذ يشكو الجوع والبرد والتعب ، وزاد الطين بلة أن ثارت في وجهنا في هذه اللحظة زوبعة رملية شديدة وهطل

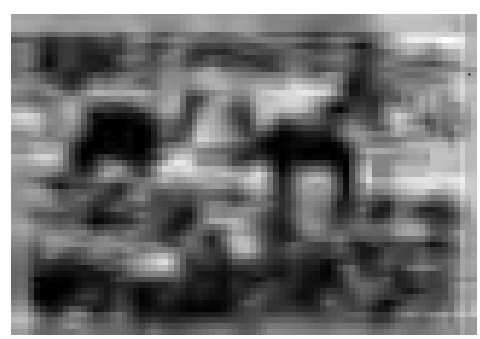

المطر كأنه أفواه القرب فعميت عيوننا وأصبحنا غرقى في لجة من الماء والوحل ، وكنا عندئذ نسير على ظهر جبل عال لا يزيد عرضه على عشرين مترا ، وعن شمالنا واد عميق جدرانه قاتمة كالطور ولا يقل انخفاضه عنا عن مائة متر أو يزيد ، وعن يميننا واد آخر كالاول الا انه أكبر اتساعا وأقل انحداراً . وكان الظلام منتشراً في كل مكان ، وريح باردة عاتية تنفي في وجوهنا الرمل والتراب باستمرار ، فتعذرت الرؤية واشتد بنا الكرب وتوقعت في كل خطوة أن نهوي في هوة عميقة أو نسقط على الأرض من الاعياء — طلب مني صاحبي ونحن في هذا الموقف الحرج أن نأوي الى ملجأ يقينا البرد والمطر وشكا الى ما حل به من التعب المضني .

فطيبت خاطره وشجعته ثم أفصحت له عن حقيقة موقفنا بكلمات قليلة ورجوته أن يصبر ، وقلت له أن الليل قد داهمنا وليس لنا من واق في هذه الجبال الا رحمة الله . وأن الوقوف عن الحركة يضر بنا فثيابنا مبللة وبطوننا خاوية والبرد قارص ولا فائدة من التذمر ، ثم أردفت ذلك قائلا : ربما كنا أقرب الى السلامة مما يبدو لنا الآن — فلما وقف صاحبي على ما نحن فيه أضطرب كثيرا ولكن لم يلبث لحسن الحظ أن سلم أمره لله وقال سر بنا وسأتبعك فالله سبحانه يتولانا بلطفه وهدايته . ثم قال : ولماذا لا نسير في عكس

اتجاهنا خصوصا وانا قد جربنا السير في اتجاه مضاد للريح ولم نصل الى غاية . فقلت له ربما لحظت أني دائما أسير والريح في وجهي وذلك لأني أعلم أن هبوب الريح في مصر في هذا الشهر من السنة يكون عادة من الشمال الغربي أو الغرب . فالسير في هذا الاتجاه أسلم عاقبة مادمنا لا نملك وسيلة أخرى من وسائل الاهتداء الى الجهات الأصلية . ولا بد أن يؤدي بنا السير آجلا أو عاجلا الى وادي النيل . فقال عسى ! ثم سكت . وبعد أن قطعنا مرحلة أخرى رأيت من الحكمة أن نلتجيء الى الوادي بسبب الظلام الدامس والبرد القارص فاخترت نقطة ظننت أنها ربما تكون أقل خطورة للهبوط الى الوادي ، واشرت إلى صاحبي أن يتبعني وأن يكون حريصا منتبها وأن يستجمع كل قواه حتى لا تزل قدمه فيهوي الى الحضيض ، فأومأ بالايجاب . وفي أقل من نصف ساعة وصلنا بطن الوادي بسلام وبعد أن استرحنا قليلا أخذنا طريقنا متبعين تعاريج الوادي قائلا في نفسي أن كتب علينا البقاء في هذه البداء هذه الليلة فسنجد في احدى المغاور ملجأ وحماية .

بعد أن سرنا في الوادي نحو كيلو متر فطنت الى أننا متجهان نحو منبع الوادي من اتجاه الحشائش في أنحائها . فعدنا أدراجنا مؤملا أن نحن واصلنا السير أن نصل إلى مدخل الوادي في وقت قريب ، وعندها ربما نهتدي الى طريق يوصلنا الى مكان يكون لي به معرفة .

في هذا الوقت العصيب ظهرت بارقة أمل على غير انتظار بددت كثيرا من غمنا وكآبتنا واعادت الينا شيئا من الطمأنينة

والثقة ، كانت الساعة السادسة والنصف مساء عندما أدركت أن لى بالوادى الذى نسير فيه معرفة سابقة من بعض الشواهد والعلامات . وبعد قيل ترجح عندى من تعاريج الوادى ونظامها انا نسير فى « وادى دجلة » ثم لم ملبث طويلا حتى ثبت لى من علامة مميزة فى الحائط الجنوبى للوادى . وهى فتحة مغارة لها شكل خاص ، من أن الوادى هو وادى دجلة حقيقة ، فكدت أطير من الفرح وأخذتنى نشوة سرور أعجز عن وصفها ولا يشعر بمثلها الا من كان فى مثل موقفنا وحالتنا عندما تنشله العناية الالهية من ضيق مهلك الى سلامة مؤكدة ، ثم أخذت أفكر فيما عسى أن يكون قد جرى لنا حتى تحولنا عن وجهتنا الأصلية الى هذا الوادى

ووادى دجلة واد طويل يبلغ طوله من مدخله حتى نهايته نحو اثنى عشر كيلو متراً ، كثير التعاريج ينتهى بشلال غاية فى الجلال . يقصده كثيرون من محبى الرحلات الجبلية للتفرج على مشاهده الفريدة ومناظره البديعة ويقع مدخل الوادى فى الشرق من « طوه » وعلى بعد ساعة ونصف منها ، وتمتد بينهما سلسلة من التلال تخفى مدخل الوادى وتجعل الوصول اليه متعسرا . وعقب الأمطار الغزيرة يترع الوادى بالماء ويخرج منه أحيانا سيل جارف يهدد المنطقة حول طوه بالاتلاف والغرق .

وبعد أن بشرت صاحبى بالخلاص من الورطة ، وبعد أن اتعش وعادت اليه بشاشته أخذت ونحن نسير فى الوادى أقص عليه بعض ماصادفته من المواقف الحرجة فى رحلاتى السابقة وكيف كنت أخرج منها فى كل مرة سالما بتوفيق الله . وبفضل الاطمئنان ورباطة الجأش وقوة ذاكرتى التى تحفظ كثيرا من العلامات المميزة للجبال والوديان التى أزورها .

(يتبع)

ضحى الاسلام

هو الجزء الثانى لفجر الاسلام

يبحث فى الحياة العقلية للعصر العباسى الأول

تأليف

الأستاذ أحمد أمين

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر — ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه عشرون قرشاً

المبـــارزة

للكاتب الروسى اسكندر بوشكين

تابع لما قبـــله

لا يبأس الذين يعيشون فى العواصم بالحوادث الصغيرة لا تشاهم عما هو أهم وأخطر . ولا يتصورون ما يكون لهذه الحوادث على صلاتها من الخطر والاثر فى المدن الصغيرة والقرى البعيدة . مثال ذلك وصول البريد ، ففى يوم الجمعة والثلاثاء من كل أسبوع تكتظ مكاتب العسكر بالناس . هذا ينتظر نقوداً وذاك رسالة وهؤلاء يسألون عن الصحف . كل يتلقف ما له فى شغف واهتمام . وأذكر أن رسائل سيلفيو كانت تعنون الى معسكرنا ، وأنه كان يزورنا وقت وصول البريد لتسلمها . وفى أحد هذه الايام تسلم خطابا ، فلما لمح اسم الجهة الصادر منها حتى لمعت عيناه وأسرع بفضه وقراءته فى تأثر وحماس . وبالطبع لم يدرك أحد سواى هذه التغيرات التى بدت فى ملامح وجهه وحركات يديه لانشغال الجميع بقراءة رسائلهم .

وبعد لحظات التفت الرجل الينا قائلاً « يضطرنى العمل الى مغادرة القرية هذا المساء ، وأنا لذلك أدعوكم لتناول الغداء معى اليوم للمرة الأخيرة ، وكلى أمل ألا أحرم من لقائكم جميعا » ثم أشار الى بالذات وقال « وكم أتمنى أن أراك بينهم ! » ثم أسرع بمغادرة المكان كما أسرع كل منا الى جناحه الخاص بعد أن اتفقنا على اجابة الدعوة .

ووصلت الى منزل سيلفيو فى الساعة التى عينها فوجدت ضباط الفرقة جميعا هناك ، ورأيت كل أثاث المنزل قد جمع وربط استعداداً للرحيل ، وأبصرت الجنديان عارية من أغلفة الرصاص .. جلسنا الى المائدة وأكلنا هنيئا وشربنا حتى ثملنا ، وكنا نكثر من الخمر التى ماان نصبها فى الكؤوس حتى نشربها بزبدها ورائحتها فتجرعها ، ولما انتهينا — وكنا قد أطلنا الجلوس — لبسنا قبعاتنا وهممنا بالانصراف راجين لمضيفنا العزيز التوفيق فى رحلته ، فاجاب شاكرا وأخذ يرد تحية ضيوفه واحداً واحداً حتى جاء دورى فأسر الى « انى أريد أن أتحدث اليك برهة من الزمن ! » فلم أر بدا من المكوث بعد انصراف الآخرين

جلس كل منا قبالة صاحبه وأخذنا ندخن فى سكون . وقد كان سيلفيو متعبا شاحب الوجه ، وان عجبت لشىء فلم أعجب الا من هذا التغير الفجائى الذى بدا عليه ، فقد غاض ذلك السرور الذى أشرق به وجهه ساعة الغداء ، واختفى بريق عينيه وضعفت نظراته وأصبح منظره وهو ينظر الى سحائب الدخان المتصاعدة من غليونه منظر الشيطان!